تصدر عن مبادرة
لأبعد مدى
هندسة التحرير:
ياسين أحمد سعيد

# ومضات

أدب رحلات

العدد 29- يناير 2018م

داري دربة
مختار شحاته

قطار درجة ثانية
شيماء دراز

الأسماك تضيء أيضًا
محمد سامي البوهي

نِك ماييز في واحة الغروب
ترجمة: محمد عبد العزيز

تصميم الغلاف: أسماء أيمن

📖 **ومضات**: دورية غير منتظمة، تصدر عن مبادرة (لأبعد مدى)، يتخصص كل عدد منها في أحد المجالات الآتية (الفانتازيا، الخيال العلمي، الرعب). وأحيانًا (الدراما النفسية، أدب الرحلات، الشأن الثقافي، إلخ).

❑❑❑

**🛠 هندسة التحرير 🛠**

**ياسين أحمد سعيد**

**🖱 إخراج الغلاف 🖱**

**أسماء أيمن**

❑❑❑

# 💻 للتواصل 💻

lab3admda@gmail.com

http://lab3ad


facebook.com/lab3d.madaa

https://t.me/LAB3AD

https://twitter.com/lab3ad

❑❑❑❑❑

# المحتويات

## ■ السفر.. (نصوص):


- مقدمة: ..... 6
- قطار درجة ثانية:

شيماء دراز ..... 8

- نِك ماييز في واحة الغروب:

ترجمة: محمد عبد العزيز ..... 32

- رحلة معايشة.. لأجل تأليف كتاب:

الأسماك تضيء أيضًا: سامي البوهي ..... 44

- داري درية:

مختار شحاته ..... 59

➢ ترشيحات كتب:

ـ أوائل الرحالة العرب: رسالة ابن فضلان . 78

ـ القرن العشرون: تائه في لندن ..... 84

ـ العصر الحالي: في الإقامة والترحال ..... 89

■ السفـر.. (فن):

➢ أفلام فترة النقاهة: شريف ثابت ..... 20

➢ أغنية × رحلة: سهار بعد سهار ..... 52

➢ فضاء التدوينات المصورة: ..... 71

❑❑❑❑❑

# مقدمة

في يناير 2016م، أعلنت (ومضات) عن تولى (مصطفى جميل) منصب (رئيس التحرير)، إلا أن ظروف شخصية منعته من البدء، مما أدى إلى تجميد المشروع.

أما عن رئيس التحرير السابق (ياسين أحمد سعيد)، فقد انشغل بالبحث عن تحدي مختلف، حيث أسس موقعًا إلكترونيًا ناطقًا باسم مبادرة (لأبعد مدى)، أحد أهدافه توفير بديل يسد الفراغ الذي تركته (ومضات)، لكن ماذا عن هاجس تعرض الموقع للقرصنة يومًا، أو ضياع محتواه لسبب ما؟!

لذا.. قررت (لأبعد مدى) تجميع معظم ما يُنشر على منصتها الإلكترونية أولًا بأول، وإعادة إصداره في شكل سلسلة دورية غير منتظمة، (PDF) ستحمل نفس الاسم القديم.. (ومضات)، مع فارق أن (مرحلة ما قبل العدد 29) ضمت خليطًا متنوعًا داخل نطاق أدب الخيال عمومًا، بينما ننوي -بدءًا من الآن فصاعدًا- أن يتخصص كل عدد على حدة في (الفانتازيا، أو الخيال العلمي، أو الرعب)، وأحيانًا (الدراما النفسية، أدب الرحلات، الشأن الثقافي، إلخ).

❑❑❑❑❑

# قطار درجة ثانية

## شيماء دراز

بحثت كثيرًا عن تذكرة قطار لمحافظة (أسوان)، تلك المحافظة التى أذهب إليها لأول مرة. لطالما سمعت عنها، فبعضهم يروى عن جمالها الأخاذ، ونهر النيل الذي تتخلله الجزر والصخور، ليرسم لوحة طبيعية تسرق الألباب. بينما تحدث البعض الآخر عن حرارة جوها مبالغًا أنها مرادف لكلمة (فرن) ويحمل أهلها اللون الأسمر -بل الأسود- والأنف الأفطس والشفاه الغليظة، وكأنها أدغال قارتي السمراء (إفريقيا)، لكن يتسم معظمهم بالطيبة ممتزجة ببعض الخبث مع الغرباء فكل منهم نقل لي الصورة من منظورة الخاص، وأي نصف للكوب يرى، أهو الممتلئ أم الفارغ.

هواجس كثيرة تسارعت بعقلي أخرجني منها

صوت رجل شباك التذاكر، قائلا:

- يا آنسة، مفيش غير درجة تانية، ومن (أسيوط) مش (سوهاج)، وسبعة مساءً.

انتبهت إليه.. كيف يتعذر وجود تذاكر رغم عدم وجود أزمة في الذهاب إلى أسوان؟!

أعدت سؤاله عن قطار الواحدة والنصف ظهرًا، الذي لطالما استقلته صديقتي الأسوانية، فأجاب بصوته ذو النغمة التي تبعث على اليأس:

- مفيش غير سبعة بالليل، أو خمسة الفجر.

وضعني بين اختيارين أصعبهما مر، فالثاني سيجعلني أبلغ (أسوان) بعد انتهاء اليوم الأول من التدريب أما قطار السابعة مساءً، سيصل بي فجرًا.

اخترت السابعة مساءً بعد تأكيد صديقتي الأسوانية أنها سنتظرني في المحطة.

قبل مغادرتي شباك التذاكر، استوقفني الموظف قائلًا:

- آنسة.. تتوفر تذاكر اليوم لـ(أسوان) من (سوهاج) مش (أسيوط)، في قطار أربعة العصر.

تمتمت مبتسمة: "شكرًا". مازالت الابتسامة على وجهي من نظام السكة الحديدية، وعدم موافقة مواعيده للعقل.

على محطة القطار.. انتظرت من السادسة والنصف مساءً، يرافقنى والدي ووالدتي وشقيقتي.. المحطة باردة.. بل هي إلى الثلج أقرب!

طال الانتظـار، تجاوزت الساعة السابعة والنصف، قبـل أن نعلـم خـبر إصـابة القطـار بخلـل مـا في (أسيوط). بعد نصف ساعة أخرى، أشـار عقـرب الساعة إلى الثامنة، بينما لم يصل قطار السابعة بعد!

تناهى إلى مسـامعي جـدل بين طـالبين مـن مركـز (جرجـا) يدرسـان (الطـب). عرفـت ذلـك مـن المصـطلحات التـي يسـتخدمانها، وحـديثهم عـن (الرونـد). أرادا السـفر لقضـاء يـوميّ الخميـس والجمعة لدى ذويهم، لكن تأخر القطار حـال دون ذلك، فالساعة لديهم تعنى الكثير. بعـد جـدل بين مؤيد للانتظـار، وآخـر للعـودة إلى المسـكن، ربـح الثاني بعدما أصبحت الساعة الثامنة والربع.

نالني مـن الـبرد مـا نالني، حيث اعتمـدت على أن

القطار مكيف، كما أن جو (أسوان) يتمتع بالدفء، فلم أصطحب الجاكيت الخاص بي، وهو ما تسبب في قضائي ساعة ونصف في الثلج، غير أن شقيقتى منحتني الذي كانت ترتديه.

شارفت الساعة على الثامنة والنصف، فأعلنت لوالدي عن عدم ذهابي إلى التدريب، فلن أبقى أكثر من هذا. بلغ حديثي أذن أحد العاملين بالمحطة، ليخبرني كأنه يبشرني أن القطار قد غادر (طهطا). وبالفعل وصل محطة (سوهاج) في التاسعة إلا ربع، متأخرًا ما يقرب من الساعتين.

داخل عرباته التى لا تعرف شيئًا عن التكييف، عرفت أنه لا يحمل من اسمه نصيبًا، سوى كلمة درجة "ثانية". الكراسي غير صالحة للاستهلاك

الآدمي، يغطيها قشر لب، وعلب عصير التصق بعضها بأرضية القطار، كما لا أعلم كيف وضعت هذه الكمية من الأوراق داخل الحافظة الشبكية بالكرسي، خاصة أنها ممزقة..

حانت منى التفاتة إلى المقاعد المقابلة، وقد نسى عليها أحد الركاب محتويات معدته، وقبل أن أكمل اشمئزازي تناهى إلى أذني جدل قائم حول مكان حفظ الحقائب، فهذا راكب لديه الكثير منها الحقائب، وآخر لا يريدها أعلاه، حتى حسم الجدل أخيرًا بتبديل الكراسي.

تفحصت الوجوه من حولي أكثر من نصف العربة أمناء شرطة، عائدين من أجازاتهم إلى أماكن الخدمة المختلفة.

توقعت تبادلهم الحديث عن الجدل السياسى القائم، لكن أغلب كلامهم كان عن الأجازة المنتهية، ورغبتهم أن تطول.

لم أحرم من مشاهدة مباراة سياسية جميع أطرافها خاسرين، فقد بدأت بين من يجاورني في المقعد، وهو (أسواني) تجاوز الخمسين، يقيم بـ(أدفو)، ومؤيد للدكتور (مرسي)، رغم أنه ليس أخوانيًا كما كرر. الطرف الآخر: شاب في منتصف الثلاثينيات، يرى أن الجماعة هم من أضاعوا البلد.

أصبت بالصداع فندمت على عدم إحضار (اللاب توب)، كي يفصلني عمن حولي. كذلك يحول بيني وبين كتبي ذلك الارتفاع الشاهق لرف الحقائب، أو ربما تعمدت ذلك لأنني أردتها رحلة تعيدني إلى

الواقع بعيدًا عن العالم الإلكتروني أو خيال المؤلف.

قطع أفكاري دموع فتاة، بل سيدة في أواخر العشرينيات تحمل طفلتها الرضيعة، لأستشف من دموعها ومحادثاتها الهاتفية المتكررة مع زوجها كل عشر دقائق أنها ذاهبة لإجراء جراحة بالقلب للطفلة بمستشفى (مجدي يعقوب)، بينما بقى الأب مع طفلين آخرين لم يكونا ليجدا من يرعاهما في حالة ذهاب الوالدين معًا. في نفس الوقت، خارج عن مقدورهم توفير مسكن للأسرة طوال عملية الرضيعة فكان هذا الفراق الموصول بدموع الأم، يتخلله بكاء الصغيرة.

تركتهما عيناى، لأصدم بوجه ذلك الشاب الأسمر، لا أعلم أي حزن ارتسم على وجهه، ليقطع حيرتي

صوته مجيبًا على الهاتف:

- لا متدفنهوش، أنا في الطريق، الله يرحمك يا آبا.

أطرقت وجهي، وقد علمت السبب.

ورغم أن الحزن يعتصر ملامحه، إلا أنه لم يترك الدموع تجد طريقًا لعينيه.

في الكرسي المقابل، لفتت نظري ضحكات ثلاثة شباب يسردون بصوت مسموع، كيف يحجزون كل تذكرة بكرسي منفرد، ليجلس كلا منهم بجوار فتاة، واصفين ذلك بعبارات بعيدة عن الآدمية "فلا يصبح السفر ناشفًا" وفقًا لتعبيرهم، فلا يحترموا حزن من فقد والدة منذ ساعات، أو دموع الطفلة ووالدتها، غطى على ضحكاتهم صوت بائع

الجلاب، فقد وصلنا (قنا)، لأعلم أننا قطعنا نصف الطريق.

رأيت الكومسري لأول مرة، ليضيف خطًا أزرق على تذكرتي، قبل أن يعيدها. تجاوزت الساعة الواحدة صباحًا قبل أن يمر رجل خمسيني باحثًا عن مقعد فارغ، فقد تورمت قدميه طوال المسافة بين (المنيا) وحتى (قنا)، لكن الجالسين لم يستمعوا إليه، فكل منهم غارق في عالمه الخاص.

غادر القطار مجموعة من أمناء الشرطة، بعضهم مرتديًا الزى الميري، ليجلس بدلًا منهم عائلة مكونة من سيدة وابنتيها وطفلها وزوجها، تشرح لهم ما سيفعلونه في عرس ابنة شقيقتها بـ(أسوان). توقفت عن مراقبة عالم القطار، فقد وصلنا (كوم

أمبو) قرب الثالثة فجرًا، فعلمت بتبقى أقل من ساعة قبل الوصول إلى المدينة، ليحدث ذلك بالفعل في الرابعة، فرأيتها وكأننا بوضح النهار، فقط الأضواء خافتة بعد سفر دام لتسع ساعات بقطار درجة ثانية.

❑❑❑❑❑

# أفلام فترة النقاهة

## شريف ثابت

## ● دردشة فيها حرق لبعض أحداث الفيلم:

تظل السمة الأساسيّة لأفلام الـ(Survive)، وبخاصةً تلك التي تدور رحاها في بيئات ذات خصوصيّة طبيعيّة مثل الجبال والصحاري والغابات والفضاء الخارجي، أنها تُجرِد الشخوص والعلاقات الإنسانيّة بمختلف أنواعها ومستوياتها لأبسط صورها وأكثرها مُباشرةً.

وتسمح باختبارها وتشريحها وتحليل مقوماتها ودوافعها ونتائجها، في سياقات الصراعات بين الأبطال وبعضهم البعض، وبين تحديات الطبيعة المُحيطة بهم، والّتي غالبًا ما تكون مُعادية لهم قبل أن تتكشف حقيقة دورها مع دوران عجلة الأحداث، فإذا بها هي المُرشِد الّذي يقتاد الأبطال

لاكتشاف حقيقة أنفسهم المدفونة تحت ركام وطبقات الحياة المدنية المُزدحمة بالتفاصيل.

ثمة أفلام اختار صناعها تتبع رحلة الإنسان لامتلاك زمام السيطرة على مُقدراته في مواجهة قوى الطبيعة، مثل "المعزول" (٢٠٠٠) و"المريخي" (٢٠١٥)، وأفلام أخرى تناولت رحلة النهوض من بعد الانكسار مثل "جراڤيتي" (٢٠١٣)، بالإضافة للأفلام التي اتخذت من الصراع مع الطبيعة إطارًا للتأمل في العلاقات الإنسانية سواء أكانت عدائيّة كما في أفلام مثل "الحافة" (١٩٩٨)، و"المُنبعِث" (٢٠١٥)، أو عاطفية رومانسية كما في أفلام "مُسافرون" (٢٠١٦)، وفيلمنا "الجبل الّذي يفصل بيننا"

لمُخرجنا الفلسطيني العزيز (هاني أبو أسعد).

في أول أفلامه الهوليوودية بعد نجاحات عالمية مشهودة، كان من نصيب (هاني أبو أسعد) سيناريو مُقتبَس عن رواية للكاتب الإنجليزي (تشارلز مارتن) يحكي مُغامرة مُتخيلة خاضها طبيب بريطاني أسوَد وصحفية أمريكية بيضاء وسط الجبال المكسوة بالثلوج بعد نجاتهما من سقوط مُروِع لطائرتهما إثر نوبة قلبية داهمَت الطيار العجوز في منتصف الرحلة.

نحن إذن مرةً أخرى أمام علاقة بسيطة ومباشرة طرفيها رجلُ وامرأة وسط أصقاع بيضاء لا نهاية لها، وبلا أيّة وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي فيما وراء الجبال الشاهقة المُترامية، وذلك بعد أن

شاهدنا العام الماضي علاقة قريبة بين بطل وبطلة "مُسافرون" فيلم (مورتن تيلدم)، والّذي جعل من قصة ضياعهما في غياهب الفضائي إطارًا لإعادة بناء قصة (آدم) و(حواء) وخلق الكون ونشأة المُجتمعات من منظور حداثي مُفارق للماورائيّات، فما هو المضمون الّذي اتخذَ (أبو أسعد) مغامرة (بن) و(أليكس) وسط الجبال إطارًا ليعرضه بداخله هذه المرة؟

هل هي تنويعة أخرى على قصة آدم وحواء؟ قضية العنصرية والعلاقة بين الأضداد من خلال قصة حب تنشأ بين الأسوَد والبيضاء؟ قصة حب تصطدم بحواجز الطبقية؟

الإجابة: ولا شيء مما سبق.

ما حدث أنّ الفيلم، وبعد مُقدمة سريعة مُشوِقة لم تستغرق أكثر من دقائق معدودة، قفز إلى الحدث الرئيسي مُباشرةً وهو سقوط الطائرة فوق قمم الجبال الثلجية، ومصرع قائدها ونجاة بن (إدريس ألبا) وأليكس (كيت وينسلت) و-طبعًا- الكلب الأليف الّذي كان يملكه الطيار.

تخللت هذه المُقدِمة وما تلاها محاولات من السيناريو لرسم مجموعة من الخطوط التي تفصل بين الشخصيتين وتجعل منهما نَقيضَين جمعهما الحادث في قاربٍ واحد.

(بن)، الجرّاح الإنجليزي مُنغلِق قليل الكلام، يطوي صدره على سر يُثقِل كاهله، ويؤمِن بهيمنة العقل على العاطفة "القلب هو مُجرَد عضلة"، ولا

يتخذ خطوة قبل أن يُخضِعها لحسابات دقيقة.

على العكس منه (أليكس)، المُصوِرة الصحفية الأمريكية لطيفة المعشر، الجريئة لدرجة التهور، الثرثارة كثيرة الأسئلة، والتي كانت متوجهة لإتمام زفافها على الرجل الّذي تحب، قبل أن تسقط طائرتها وتجد نفسها عالقة وسط الجبال ثلوج يناير القارصة.

هذه الخطوط الفاصلة بين النقيضَين كانت كفيلة بخلق صراع حقيقي بين طريقتَين مُتعاكستَين للحياة، وبخاصةً أن تواجدهما معًا في هذه الأصقاع جعل من كلٍ منهما طوق نجاة للآخر، لولا أنَّ السيناريو الّذي هبط إيقاعه بشكل ملموس بعد المُقدِمة المُشوقة لم يهتم بتجذير الصراع

بشكل حقيقي، واكتفى بمسوح خفيفة من على السطح من آنٍ لآخر، جُملة هنا زَعقة هناك، والرحلة مستمرة بدون خلاف جدي حقيقي بين طَرفَيّ النقيض. هو فين الجبل الّذي يفصل بيننا دا؟! أنا مشوفتش أيتوها جبل يفصل بيننا!! دا انتو كنتوا -بسم الله ما شاء الله- سمن على عسل طول الفيلم، وربنا ما يجيب مشاكل!

وعلى ذِكر المشاكل، وبخلاف أفلام الـ(Survive) سالفة الذكر، أهمل السيناريو والإخراج "تمامًا" استغلال الأخطار التي تنطوي عليها البيئة الـوَعِرة التي تجري عليها الأحداث استغلالًا حقيقيًا لرفع درجة حرارة الصراع بين البطلَين والطبيعة المُحيطة بهما: هجوم الكوجار على (أليكس) المُصابة داخل

حُطام الطائرة، أحبطته بمنتهى السهولة، وفيما بعد عندما تحطمَت القشرة الجليدية تحت قدميها وسقطت في مياه البحيرة المُثلجة، أنقذها (بن) في ثواني، مَدَّ يديه واستخرجها بدون مُعاناة أو بذل أى مجهود لتحديد موضعها تحت سطح البحيرة المُتجمِد، لا عقبات تجعَل من الطبيعة خِصمًا فعليًا يُوحِد بين البطلَين معًا ويُوَحِد معهما المُشاهدين، ويجعل من قصة الحب التي انبثقَت عن هذه المغامرة ثمرة مُستحقة للمُعاناة التي لم توجَد.

(هاني أبو أسعد) مُخرجًا -ورغم نجاحاته السابقة- لم يختلف في شيء عن أي مخرج هوليوودي متوسط المستوى، صنايعي شاطر في عمل صورة جميلة، وبالذات في مشهد سقوط الطائرة والّذي صَورهُ

من داخل الكابينة في لقطة واحدة (One take) استغرقَت ما يزيد عن الدقائق الخمسة، ولكنّه افتقدَ الإحساس بطبيعة المكان والشخصيات وأزماتهما، ولم يفلح في استخراج أداء مميز من نجميه.

(كيت وينسلت) والّتي لم تزدها آثار الزمن على صفحة وجهها إلا نضجًا وفِتنة، جسدَت شخصية أليكس من على السطح من دون عُمق أو اختلاف عن أدوار كثيرة سابقة لها ولسواها من النجمات، والأسوأ منها هو أداء زميلها (إدريس ألبا) الذي لم يَكتفِ بجموده وتخشبه، ولكنه -على عكس وينسلت- افتقد الكاريزما التي مَيزَته وصنعت نجوميته. والمُفارقة أنَّ الكلب كان هو العنصر

الأكثر فاعلية سواء كمفتاح استغله السيناريو للنقلات بين مراحل الرحلة، أو حتى كظهور "تمثيلي" مُحبَب!

"الجبل الّذي يفصل بيننا" لم يكن سيئًا ولا مُمِلًا، ولكنه كذلك ليس فيلمًا عظيمًا كأغلب أقرانه المُشار إليهما وبالذات لو قورِنَ بفيلمَيّ "الحافة" للنيوزلندي (لي تاماهوري) و"مُسافرون" لـ(مورتن تيلدم)، والّذَين يتقاطعان معه في موضعَين ركيزيّيَن، ولكنهما لم يسقطا في فَخ التسطيح الّذي تسبب فيه سيناريو (كريس ويتز) و(چى مايلز جودلو)، ولم يُعالجه (هاني أبو أسعد) كما كان مُنتظرًا من صاحب "الجنة الآن"، سفيرنا العزيز في دولة هوليوود الشقيقة.

■ المصدر: صفحة (أفلام فترة النقاهة).

❑❑❑❑❑

# (نِك مايين) في واحة الغروب

ترجمة: محمد عبد العزيز

اسمي "نِك ماييز"، ويؤسفني أن أعلن من البداية أنني حالة ميئوس منها من أحلام اليقظة، كما أنني أعشق الغموض، التاريخ، والرومانسية. لو حدث واجتمع هؤلاء الثلاثة في مكانٍ ما، يمكن أن يذهب صوابي فعليًا، وهذا ما جعل واحة (سيوة) تجذب انتباهي لأختارها كي تكون وجهتي المثالية لقضاء الشتاء، إنها تجمع هؤلاء الثلاثة سويًا.

لم يكن الوصول إلى هذا المكان أبدًا مهمة سهلة. على سبيل المثال، فقَدَ الجيش الفارسي حوالي خمسين ألف رجل في بحر الرمال العظيم، أثناء محاولة الوصول إلى هذه الواحة الصحراوية المنعزلة.

صحيح أن هذا حدث عام خمسمائة قبل الميلاد، إلا أنني أعترف أن التضاريس القاسية لهذا المكان لم

تتغير تقريبًا منذ وقتها. ربما كان أكبر تغيير حدث بالمكان منذ عشرين عامًا، عندما تم إنشاء طريق أسفلتي دائم ليصل بين (سيوة) والعالم الخارجي، وهو أكبر دليل على الانعزال التام لتلك المدينة.

تلتصق (سيوة) بحافة (منخفض القطارة)، بالقرب من الحدود الليبية، تحيط بها رمال الصحراء لمئات الأميال. لقرون خلت، كانت القوافل فقط هي التي تتمكن من العبور، تاركة للسيويين انعزالهم الاستثنائي، هويتهم المميزة، تراثهم الثقافي، لغتهم البربرية "السيوية" دون أي تغيير.

لازال الوصول إلى واحة (سيوة) صعبًا، حتى بالمقاييس الحديثة، فاستقلال سيارة أجرة من القاهرة سيتطلب رحلة لعشر ساعات، وثروة

صغيرة (أنا -مثلًا- دفعت أربعمائة دولار أمريكي)، ستستغرق رحلة الباص فترة أطول من هذا، لكن ميزتها أنها ستكون أرخص كثيرًا.

عمومًا، أيًا كانت الوسيلة التي ستذهب بها، سترى للمائة ميل الأولى من الطريق، لافتات ضخمة تدعوك لشراء كل شيء يمكنك أن تتخيله، بدءًا من جل الشعر، وحتى العقارات.. إعلانات وحيدة بائسة يبدو وجودها غريبًا في مثل هذا المكان الصحراوي.

بعد غروب الشمس، لفت انتباهي شيئًا غريبًا آخر، إنها حالة الافتتان التي تسببت لي فيها الأميال، وهي تختفي تباعًا في ظلمة الليل كأنما لا نهاية للطريق.

ظننت أنني سأسر عندما وصلت – أخيرًا- لنُزل (أدرير أميلال) الاقتصادي.. لكنني عوضًا عن هذا، باغتني بسحره المربك.

ضوء القمر ألقى غلالته الفضية على ما بدا لي كمدينة أشباح، ولو لم أعرف أنني أقيم هنا لظننت أن المكان مهجورًا.

لم يكن ثمة ضوء على الإطلاق بأي مكان، كل النوافذ مظلمة، الصمت الثقيل يخيم على المكان بشكل يثير التوتر. ظهر رجل خارجًا من بين الظلال ليغمره ضوء القمر، أرشدني إلى غرفتي المضاءة بالشموع، قبل أن يختفي! فتحت زجاجة من الفودكا كنت قد اشتريتها من السوق الحرة، ودسست نفسي بالفراش، ثم أطفئت الشموع.

يجب أن أخبركم أنه إحساس لا يضاهي!

كان الصباح كاشفًا، فذابت شكوكي في ضوء الشمس الساطع حيث أظهر تفاصيل منازل المدينة التقليدية، التي احتضنت قاعدة الجبل الضخم الذي تمت تسمية المكان على اسمه.. (أدرير أميلال)، باللغة السيوية تعني (الجبل الأبيض). عمومًا، الجبل الأبيض هذا أقرب لقطعة من الخبز منه لجرف صخري عظيم يلوح في الأفق على المباني المتناثرة بالأسفل.

على عكس الفنادق التقليدية، لا يملك (أدرير أميلال) مكتب استقبال، ولا أماكن ثابتة واضحة تكون بمثابة صالون أو استراحة للنزلاء، هذه البيئة المرنة تأخذ منك وقتًا لتعتادها.

هنا يتم استعمال بعض الأماكن في الشتاء، بينما يتم تخصيص أماكن أخرى للصيف، أما بالنسبة لوجبات الغذاء والعشاء، فيتم تناولهم في أي مكان ممكن.

لابد أنني بدوت تائهًا، لأنني بالتأكيد لم أكن أعرف أين يجدر بي الذهاب، هنا ارتفع ذلك الصوت يسألني عنا إذا كنت راغبًا في تناول إفطاري، ويجب أن أعترف أنني في تلك اللحظة وقعت في غرام (أدرير أميلال).

وجدت نفسي أنضم لزوجين مثليين من أمريكا على مائدة الإفطار، إفطار رائع يتكون من الخبز المحلي، الفول، البيض (على الرغم من أن طعم مربى الزيتون كان غريبًا).

كان من الواضح أنه لم يكن غريبًا بالنسبة للرجال السيويين موضوع زواج شخصين من نفس الجنس، حتى عام 1940 على الأقل، بالرغم من أن هذا ليس ما يحدث الآن طبعًا، فمصر الحديثة ليست معروفة على وجه الخصوص بآرائها الليبرالية بالنسبة لموضوع المثلية.

كنت متحمسًا للغاية بصدد شغفي الجديد، وبالاستناد إلى النظرة الحالمة في عينا الزوجين، يمكنني أن أخمن أنهما كذلك قد استحوذ عليهما سحر (أدرير أميلال)، على الرغم من أنهما يمكن أن يكونا راغبين في الفرار بشدة من ثرثرات الجميع بموطنهما، ولهذا أتيا إلى هذا المكان المنعزل.

ظلت وسائل البناء البسيطة التي يتم استخدامها

هنا، والمسماة (كيرشيف)، أو الطين المغطى بطبقة من الملح الصخري، ثابتة لا يدخل عليها تغييرًا لقرون.. لكن الطرق التقليدية في البناء كانت قد اختفت تقريبًا، قبل أن يتم إعادة إحياءها لبناء (أدرير أميلال)، و.. كانت النتائج مبهرة.

بجانب بحيرة (سيوة) -وهي بحيرة ملحية لامعة- كانت المباني كلها تنتصب، غير ظاهرة لو نظرت لها من مسافة، وهي تقف خارجة من الأرض كسراب مقلوب.

الكراسي والأبواب يتم صناعتها من خشب الزيتون، بينما تم منع استعمال الكهرباء، التي توجد بالمدينة الواقعة على بعد بضعة أميال فقط.. يتم استخدام الشموع المصنوعة من شمع النحل في

إضاءة الغرف التي تشبه الصوامع، والتي تشعرك أثناء الليل كأنك في خضم تجربة دينية.

تصنع كتل هندسية من كلٍ من الضوء، الظل، والهندسة المعمارية، مناظر مذهلة في الواحة. ثمة جمال حقيقي يكمن في بساطة وخشونة المكان، كأن (كيلي هوبين) -مهندسة معمارية شهيرة- تقابل عائلة (فلينتستونز) من العصر الحجري.

هناك كذلك هوس واضح باستخدام الملح يقترب من الجنون؛ ثمة موائد، كراسي، أسرة، وموائد صغيرة لتوضع بجانب تلك الأسرة، مصنوعين من الملح، ومثلهم النوافذ، الجدران، بلاط الجدران، ومباني بالكامل كذلك أحيانًا! طبعًا هذا سيكون مشكلة لو أنك لديك حساسية تجاه الصوديوم، و..

كارثة لو حدث وأمطرت!

**... (يتبع).**

❑❑❑❑❑

## ❑ المؤلف (نِك مايز):

- روائي بريطاني، إذاعي، كاتب متخصص في أدب الرحلات.

- مـــن أعمالـــه: (Not Dark Yet)، (The Africa Bar).

- الموقع الإلكتروني: https://nickmaes.com

## ❑ المترجم (محمد عبد العزيز):

- روائي ومترجم ومؤلف قصص مصورة مصري.

- مـن مؤلفاتـه: روايتـي (بيانكـا) و(انتقـام بـأثر رجعي).

❑❑❑❑❑

# رحلة معايشة.. لأجل تأليف كتاب..

من وقت لآخر، قد يضطر مؤلف –تحريًا للمصداقية- إلى زيارة المكان الذي يكتب عنه قصة أو رواية. أو العكس، ربما تتسبب تجربة سفر في إلهامه بعمل أدبي.

ننوي –في هذا الصدد - تخصيص زاوية ثابتة داخل سلسلة (لأبعد مدى- أدب رحلات).

**المؤلف: محمد سامي البوهي**
**الكتاب: الأسماك تضيء أيضًا.**
**وجهة الرحلة: (بحيرة البرلس).**

خلال زيارتي للملاحات في جزيرة (سنجار) في (البرلس)، رأيت عددًا كبيرًا من الأطفال يعملون داخل الملاحة مع النساء العجائز التي تآكلت ملامحهم بفعل وحشية الملح، فلاحظت أن الأطفال القابعين بين الأكوام البيضاء يتوقفون عن العمل للحظات ويمدون أيدهم في جيوبهم ويأكلون شيئًا ما، فلما اقتربت منهم وبعد سؤالهم عن أجورهم التي تراوحت بين 15 و20 صاغ لتعبئة الجوال الواحد على حد قولهم، سألتهم عما يأكلونه، فكشف لي أحدهم عن حبات من السكر كان يخفيها في جيبه وذلك لتكسر سطوة الملح في أفواههم.

أما قي قرية (الشخلوبة) في قلب بحيرة البرلس

يتجمع حولك الأطفال بمجرد أن تطأ قدماك أرضهم يحيطونك بابتساماتهم ونظرات يمكن أن تحتويك كأنما لم يحتويك أحد من قبل. تصوب عدسة كاميرتك لتلتقط لهم الصور، ثم تندهش عندما تعلم بأنك أول من جمد الزمن على وجوههم البريئة وأول من منحهم الفرصة ليرون وجوههم بعيدا عن صفحات الماء.. هناك يمكن أن تلمح الانبهار الذي فقدته منذ زمن طويل في أعين تنبهر بكل أفعالك البسيطة أو ما تظنها بسيطة!

هناك تجد الطفل يحدثك حديثًا صامتًا بعينيه، قائلًا:

**- أنا لست طفلًا، ولم أكن كذلك، لم يشتر أبي لي لعبة يومًا ما، أو قطعة سكر ولم تناديني أمي باسم**

hab Hosney Asal

آخر سوى اسمي، تعلمت الحكمة من هذا العالم حولي حتى أصبحت عليمًا بكل المآسي قبل أن تصل إليكم.

أنا الطفل أنا الرجل أنا الشيخ أنا الذي يكتب أحرفًا لا يعلمها سواي؛ لذلك لن يعلم عني أحد غيري، لأن ملامحي الفضية فد تشبه ماء البحر الذي يشبه كل شيء إلا أنا، فيظنه من يظنه أنه البحر الجميل الكبير الرائع الذي يجب أن يحبه، ويتباهى بحبه ويكتب له القصائد عن الشمس التي تسقط على ديارنا حينما تغرب عن عالمكم، لكنه لا يعلم بل لا تعلمون أنه الشقاء الذي فرض نفسه علينا ليملأ كل فراغات جسدي حتى صرت أشبهه بل صرنا جميعا نشبهه.. فنحن هنا الأطفال

**الرجال لا وقت لدينا للعب، لذلك فنحن نضيء لكم كما تضيء الأسماك في الأعماق لعلكم تبصرون أنفسكم.**

هذا كله دفعني أنه بعد انتهاء تلك الرحلة الغريبة التي كانت مغامرة بالنسبة لي قادني إليها أحد الأدلاء عن طريق صديق وسيط، أن أتحول إلى رسام لا لكاتب ولكن الأدوات تلك المرة ستكون مختلفة تمامًا، فكان لابد أن أختار كل كلمة في الرواية كما يختار الرسام ألوانه، كان يجب أن أعبر عنهم بمنتهى الصدق والأمانة عن أحلامهم المتشابهة عن ملابسهم، عن أقواتهم المتقاربة، عن ملامحهم التي نحتها البحر، عن كل شيء.

كان عليّ أن أكون أمينًا جدًا وأنا أعبر حتى عن

الابتسامة الصافية الخالية من كيماويات الحياة الفاسدة التي نعيشها.

لذلك فكتابة تلك الرواية كان بالنسبة لي رحلة أتت من داخل رحلة أكبر أسبح فيها بخيالي كجرم صغير يحاول أن يلتقط ما يتذكره من الصورة وينقلها بكل أمانة؛ ليعبر عن عالم منسي لنا معروف لأصحابه فله قواعده وقوانينه التي تتماشى مع

قانون الماء والسماء إنها رحلة تصوف وزهد، لم تكن مجرد بحث عن رواية.

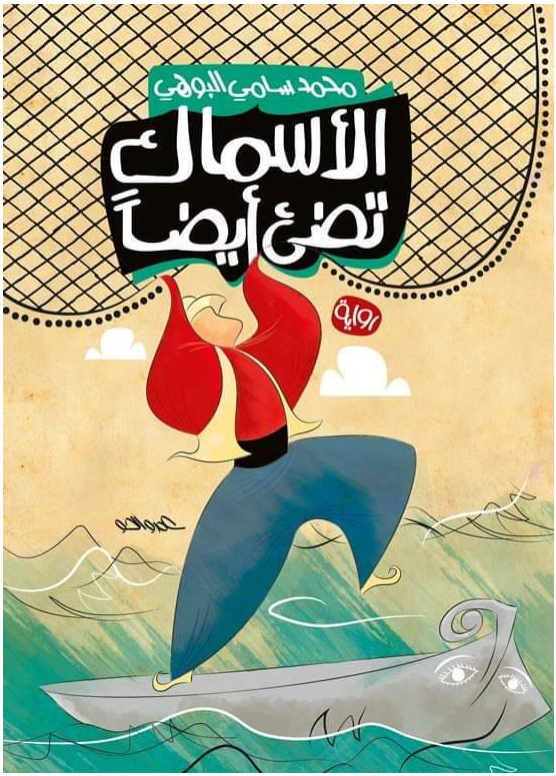


❑❑❑❑❑

# أغنية × رحلة

الترحال ليس مصدر إلهام للأدب المكتوب فحسب، بل قد يمتد إلى الموسيقى والغناء أيضًا، وهو ما لن ننس -بإذن الله- إفراد زاوية خاصة به، في هذه السلسلة.

اخترنا البدء بأحد أبرز الأمثلة في هذا الصدد:

نتحدث عن رحلة موسيقار الأجيال (محمد عبد الوهاب) إلى (بيروت) عام 1961م، التي أثمرت عن أحد التعاونات القليلة، بينه وبين جارة القمر (فيروز).

لم يرجع سبب القلة إلى المسافة الجغرافية الفاصلة بين (لبنان) و(مصر)، بل إلى الأسوار المحيطة بـ(فيروز) ذاتها، فمنذ بلوغها سن العشرين لم تربط مع (عاصي رحباني) بعلاقة زواج فقط، بل حوّلها الأخير إلى أيقونة شبه حصرية لمشروع الرحابنة الفني؛ رغبة منه في كسر القاعدة الشائعة حينذاك حول (ضرورة البدء من مصر، كي تذيع شهرتك عربيًا).

يمكن القول أنهما نجحا في ذلك كأقصى ما يكـون، في نفس الوقت.. قدما –من خلال واجهة صـوت (فيروز)– طابعًا لبنانيًا ذو خصوصية، يختلف عـن مدرسة (التطريب) الذائعة في وادي النيل وقتها.

يقال أن المُلحن المصـري (بليـغ حمـدي) سـافر إلى (بيروت) كي يقترح على (فيروز) عمـلًا مشـتركًا، فتعلل (عـاصي) بحجـج مختلفـة، عـلى غـرار أنهـا مريضة، أو ما شابه. ذكرت الواقعة في مقال بعنوان (فيروز التي ما زالت تغني).

على عكس علاقة الأخـوين (رحبـاني) بالموسـيقار (عبد الوهاب) التي تحلت بمساحة أكـبر –نسـبيًا– من الود والمرونة، سـواء عـلى المسـتوى المهنـي، أو الزيارات الشخصية المتبادلة، غير أن جنية الإلهام لم

تمسهم بعصاتها السحرية، سوى في رحلة موسيقار الأجيال إليهم عام 1961م، عندما نزل فيها ضيفًا على المطربة اللبنانية (سميرة توفيق)، في وجود (عاصي) وشقيقه (منصور).

كانت أمسية -حسبما يبدو- ممتعة جدًا، حتى قطعها (عاصي) بالاستئذان في الانصراف، كي لا يتأخر على (فيروز)، فتمنت عليه (سميرة) أن يطيل بقاءه ولو قليلًا.

قالت:

- سهار بعد سهار.

مست الكلمة شيئًا في الحاسة الفنية للثلاثة، فاستخدم (منصور) رد (سميرة) العفوي كمطلع

أغنية، لحنها (عبد الوهاب)، ووزعها (عاصي)، وأدتها (فيروز).

ثمة رواية أخرى أكثر شيوعًا، تفيد بأن السهرة كانت داخل منزل (الرحابنة)، بينما لم تكن (سميرة) طرفًا في القصة من الأساس.

ما حدث أن الملحن اللبناني الراحل (فليمون وهبي) مر بهم في ساعة متأخرة، فتعجب من وجود (عبد الوهاب)، نظرًا لأن الرجل مشهور في الوسط بأسلوب حياته الصارم، الذي يتضمن النوم باكرًا.

سأل (فليمون):

- شو؟ بعدكم اسهار؟!

رد (منصور):

- اسهار ... بعد اسهار .

كررت فيروز الكلمات بدندنة خافتة، مما راق للملحن (عبد الوهاب)، فاستفسر من (منصور رحباني) إن كان بإمكانه الإكمال على ذات الكلمات، ليثمر الموقف التلقائي عن أغنية سجلوها في الاستوديو بعدها مباشرة.

ذكرني اللحن بالأغاني المستخدمة في هدهدة الصغار قبل النوم، بينما تتكفل اللهجة الشامية في زيادتها عذوبة فوق عذوبة.

اسهار بعد اسهار

تَ يحرز المشوار

كتار هو زوار

شوي وبيفلّو

وعنّا الحلا كلّو

وعنّا القمر بالدار

ورد وحكي وأشعار

بس اسهار

❑❑❑❑❑

# داري درية

## مختار شحاته

لا أعرف على وجه التحديد عدد المدن التي زرتها، ولا كم من الوقت عشته خارج ما أعرفه أنه المكان الوحيد الذي يصح أن نطلق عليه "البيت" أو "الدار"، لكن يظل عالقًا في ذهني المثل الشعبي الذي كانت خالتي ترددده أمامي كلما أعود وأقوم بزيارتها، فلماذا على الدوام لم تفلح أي مدينة أن تكون تلك "الدرية"؟ إذ يقول المثل:

- داري درية وإن جارت عليا.

يمكن بتحليل المثل أن نفهم المعنى بسهولة، لكن أحب أن أخذ المثل إلى زاوية جديدة وتأويل تجديد، فعلى طول السفر وسنواته التي أحب أن تأريخها باليوم الذي كنت طفلًا لا أزال، لم يتعد عدد سنواته عدد أصابع كف اليد، يمسك بكف والده

بقوة وتشبث كأنه يتشبث بالحياة، يخشى الضياع والفقد على إثر جملة تحذيرية قالها له والده منذ أربعين عامًا، ربما شكلت الكثير من طبيعة العلاقة بينه وبين المدن كلها فيما بعد، قال: "خلي بالك لأحسن تتخطف"، وتلك جملة أضيفها إلى زاوية التأويل للمثل، ومؤسسة في علاقتي بالمدن بوجه عام التي زرتها، وبالإسكندرية على وجه الخصوص، والتي ظللت أتعامل معها من ذلك المبدأ "المدينة خاطفة، ستخطف الطفل"، وهكذا كانت بذرة من عداء خفي بيني وبين المدينة تلك على وجه من الخصوص.

❑❑❑❑❑

## ■ تأويل جديد، مصحوبًا بتنظير سريع:

أعود إلى زاوية التأويل، وأحاول التنظير حول كلمة "درية" التي تعني في أبسط وأقرب معانيها مرادف الحنان و"الطبطبة" التي نحتاجها جميعًا حين تقسو الدنيا، لكن في زاوية تأويلي الجديدة سآخذ المفردة إلى مفهوم جديد من الدراية والمعرفة، لتتحول العبارة في المثل إلى المعنى (أن أكثر الدور معرفة ودارية بالمرء هي داره مهما كانت جائرة عليه)، ربما من باب التأويل بالدراية والمعرفة، ما يجعل للغة دخل كبير.

إذ يشعر المرء بميل طفري نحو هؤلاء الذين ينضمون تحت سماء نفس اللغة، ونفس اللغة تظل الهاجس الأول والأكبر للكثيرين في أسفارهم،

وتتحول تلك اللغة الأجنبية (أو حتى اللهجة الغريبة) إلى واحد من أقوى حواجز الاندماج، وهو ما يتطلب جهدًا مضاعفًا، لكن ما لم ننتبه إليه هو أن اللغة –على اعتبارها الآن بيتك المتخيل لك في الغربة– يمكن أن تتحول إلى الوجه الآخر خلال السفر، وتصبح تلك "الدرية" بالمعنى الأول قبل التأويل، فتكون أكثر حنانًا ومحبةً إذا ما سمعتها في غربتك.

في تجربة سفري الجديد، قررت العكس تمامًا، قررت أن أحول ذلك الحاجز العظيم إلى سور من الحماية، ففي سفرتي الأخيرة تلك، وبعدما قررت الهجرة، صارت اللغة العربية (التي كانت حاجزًا) مهربًا، إذ يمكنني أن أصرخ بها فرحًا وطربًا،

ويمكنني أن "أشتم وأسب" دون أن يفهمك شخص، لكنها في حالات كثيرة كانت ملاذًا للتنفيس، إذ لم أتقن اللغة البرتغالية بالشكل الذي أراه يؤهلني للكتابة بها كما أفعل مع العربية.

❑❑❑❑❑

## ■ حاجز اللغة:

سيقول البعض أن تلك وضاعة، وأن الشفافية تحتم عليّ أن أكون "فيير" مع الآخرين، لكن لأنني منذ البداية كما قلت أسافر محصورًا بين جملة خالتي في المثل الشعبي وعبارة والدي في أول زيارات الدهشة إلى المدينة، حتمت علي أن ألجأ إلى هذا "التكتيك".

وأظن أن (دي سيرتو) حين تحدث عن تكتيكات الأفراد في حياتهم اليومية لكان يقصد ما فعلته أنا مع اللغة هنا في البرازيل، حين قررت أن تكون كل الشتائم بالعربية، وأن يخرج غضبي على الدوام بالعربية لا بالبرتغالية، والأمر جد بسيط وهين، هو أنني بالفعل أشعر بأننا أبناء القرى الذين رحلنا عن

قرانا الطيبة –قبل أن تتشوه الآن– يظـل في داخلنـا ذلك العود الأخضر الذي تجتهـد المدينـة أن تجعلـه يابسًا يتناسب مع قساوتها، وهناك من يقتلـع ذلـك العود وهناك من يتركه على حاله، وهناك مـن قـرر أن يحميه وأن يظل في مدينته الجديدة محاولًا الحفاظ على ذلك العود الأخضر.

❑❑❑❑❑

## ■ العود الأخضر:

أظن أن السفر الكثير لا يمنح صاحبه خبرة وفقط، قدر ما يُطلعه على الخيارات التي يمكـن للمـرء أن يتعامل بها مع ذلك العود الأخضر، والذي لا ينتبه له كثير من الناس في دواخلهم، فإيماني المطلـق بـأن الخير واحد في الجميع ما دام يمكن لإنسـان واحـد أن يكون خيرًا، وكذلك الشر.

لذا لا يصدمني كـون فـلان رجـل خـير عـلى غـير العادة وكون علان رجـل شريـر لـه شر مسـتطير، فتلك الفطرة التي ساوت الجميع بعـدالتها، لكننـا نختلـف فـيما تفعلـه فينـا ومعنـا المـدن والبيـوت، وأدعي أن السفر الكثير واحد مـن أهـم الأسـباب

التي تحافظ على ذلك العـود الأخضـر، إذ ينـتعش ذلـك العـود بالاختلافـات ومحـاولات التفـاهم والتصالح التي يجريها كثير مـن المضـروبين بجـين السفر والترحال أشباهي، فيحولون دموع الغربيـة –بالمناسبة عادي جدًا البكاء في الغربة وحـدك– إلى مصدر مائي لعودهم النابت ذلك، ويقلبون أرضـه للماء وللشـمس وللرطوبـة ولكـل أنـواع الطقـس حسـب المـدن التـي يزورونهـا فتزيـد خصـوبة دواخلهم، فيكبر عودهم الأخضر، ويعرف حقيقة معنى "الدار" والوطن، وكلـما اشـتد عـوده اشـتد العود الأخضر داخله.

أرى في ظنـي أن الحفـاظ عـلى ذلـك العـود –عـلى الرغم من نبت أعواد أخرى لا تمت بصـلة للقريـة

الأم ومن ناتج الحياة في المدن لأكثر من ثلاثين عامًا- هو مكسب المسافر الأهم، وأن الحفاظ عليه لن ولم يكن بأمر هين كما يتخيل البعض، فكما قلت ربما لا يدرك البعض وجوده، فيتم اقتلاعه دون انتباه من داخله أو يتم قتله عمدًا وكمدًا دون انتباه، وقليلون فقط من يقررون ألا تخطفهم المدن كما حذرني والدي صغيرًا، فظللت لأكثر من عشرين عامًا –نصف عمري- أحارب تلك المدينة التي حاولت سرقة روحي، وأسمد أرض عودي بتلك الأسفار إلى الأبد.

ربما كانت رسالتي للماجستير هنا في البرازيل أتفهم أسباب اختياري لموضوعها عن "أشباه المدن" وعن قريتي الأم التي غادرها الطفل منذ حذره

والده وهما يخطوان في قلب محطة مصر الكبيرة المزدحمة، ومحاولة مني لرفض التشوه الذي حدث لأرضنا الأولى أرضنا التي نبت فيها عودنا الأخضر.

❑❑❑❑❑

# فضاء التدوينات المصورة

(فيلم جامد).. هو برنامج يوتيوب متخصص في الدردشة عن الأفلام، قرر مقدمه (محمود مهدي)– ذات مرة– تغيير النشاط قليلًا، فخرج من الاستديو، ليصحبنا معه بكاميرا الهاتف في رحلته إلى مهرجان (دبي) السينمائي.

راقتني جدًا التجربة البصرية لهذا الـ(Vlog)، بداية من: إعداده الشاي صباحًا داخل غرفة الفندق، حديثه عن جدول تحركات اليوم، أجواء اللقاءات العفوية المرحة مع زملاءه، اهتزاز الصورة حين يهرول في الأروقة. عرفت فيما بعد أن كلمة (Vlog) إنما هي اختصار لـ:

– (Blog) + (Video)، أي (تدوينة مصورة).

بما أنني –بدوري– على وشك الذهاب إلى معـرض (القاهرة) الدوري للكتاب، قلت: لم لا؟!

تذكرت تحديدًا لقاء (مهدي) مع أصحابه من نجوم اليوتيوب، كم كانت لحظات جميلة براقة، أنا أيضًـا لدي رفاق أفتقدهم كثيرًا؛ بحكم أنني لا أراهم إلا مرة كل عدة سنوات.

فمن هنا، تهورت مقـررًا إخـراج موبايلي المتواضـع

من جرابه، والشروع في التصوير.

اليوم الأول: (الخميس 2 فبراير)، بدأ من أسوان، ثم رحلة القطار إلى الجامعة، ثم قضاء بقية النهار في معرض الكتاب مع (مصطفى جميل)، وبقية الأصدقاء.

أما الثاني: (الجمعة، أجازة بقى وكدا) فتضمن لم الشمل مع عدد حاشد وضخم من الزملاء؛ (مصطفى جميل) و(محمود عبد الحليم) و(أحمد مسعد)، أعضاء فريقي العتيد لأبعد مدى).

بالإضافة إلى: (إسلام على)، (صفاء العجماوي)، (حسام نادر)، (مصطفى اليماني)، (عصام منصور)، (حسن الجندي)، (علاء محمود)، (وائل

نصار)، (محمد مجدي يوسف)، (أمل زيادة)، (أحمد سعيد نيجور)، (ابتسام أبو دهب)، (رباب فؤاد)، (محمد عبد القادر)، (رحاب صالح)، وغيرهم كثير جدًا.

لن أنسى أصدقائي من مجال الفنون البصرية (محمد سعيد قطب) و(محمود عبد العزيز أبو العلا)، بالإضافة إلى بلدياتي ورفيق الدراسة من المرحلة الإعدادية (محمد حسين)، الذي ساعدني في التصوير كذلك.

لدي كلام كثير جدًا أقوله عن كل واحد منهم على حدة، لكن.. لأترك المشاهد تتحدث أفضل.

❑❑❑❑❑

❑ لمشاهدة الجزء الثاني:

https://www.youtube.com/watch?v=Y5WDSZ0W1XI

❑❑❑❑❑

# ترشيحات عبر العصور

مع تعاقب العصور، انحسر الشكل القديم لبعض ألوان الأدب العربي، كـ: المقامات، الوصايا، الرسائل، بل وأجرؤ أن أضيف إليهم –كذلك– الشعر العمودي.

لذلك، أعتبر (أدب الرحلات) محظوظًا بنجاحه في الصمود؛ حيث فرض نفسه –ولو على استحياء– على قائمة اهتمامات الكاتب العربي، منذ أيام الرحالة الأوائل، مرورًا بالقرن العشرين حيث إضافات (أنيس منصور)، (مصطفى محمود)، (حسين فوزي)، وحتى عصرنا الحالي.

فإليكم ترشيحات تنتمي إلى تلك الأزمنة الثلاثة.

❑❑❑❑❑

# رسالة ابن فضلان

**في الوقت الحاضر، تحتوى أرض (روسيا) على عشرات السفارات التي تحمل أعلام دول عربية وإسلامية.**

**أما إذا عدنا إلى القرن العاشر الميلادي، سنعرف أن كل ذلك بدأ برجل واحد.. (أحمد بن فضلان).**

لعل من شاهد فيلم (المحارب الثالث عشر) قد يذكر الاسم جيدًا، حيث استخدمت (هوليود) شخصيته كراوي للأحداث.

على الجانب الآخر، كلنا كنا نسمع عن مشاركات (عمر الشريف) في أفلام عالمية، قبل أن يتوفر لدينا يوتيوب ولا فضائيات، فرأيته للمرة الأولى عندما عُرض هذا الفيلم على القناة الثانية. أذكر أنني صحت مناديًا أسرتي ببهجة حينذاك:

- انظروا.. (عمر الشريف)!

بدأت المشاهد الأولى بصوت (أنطونيو باندیراس) يعرف نفسه بأنه:

- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد.

ربما هذا هو الجزء الدقيق الوحيد في الفيلم، لأن ما تلا ذلك محض مبالغات، بينما بدأت القصة الحقيقية برسالة من (ألمش بن يلطوار)، ملك بلاد البلغار الذي اعتنق الإسلام حديثًا، فأوفد إلى الخلفية (المقتدر بالله) في (بغداد)، يطلب -لو جاز لنا التعبير- بعثة دبلوماسية.

«البعثة إليه ممَّن يفقّه في الدين، ويعرّفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدًا، وينصب به منبرًا ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته، ويسأله بناء حصن يتحصّن فيه من الملوك المخالفين له»

هذا هو جدول الأعمال الذي اهتمت مخطوطة (بن فضلان) بتسجيله في فقرتها الأولى، بحكم أن كاتبها هو من وقع عليه اختيار الخليفة للإشراف

على الرحلة. ضمت البعثة إلى جانبه كلا من: (سوسن الرسي) مولى (نذير الحرمي)، و(تكين التركي)، أما دليلهم فهو (عبدالله بن باشتور الخزري) الذي جاءهم برسالة ملك الصقالبة.

بخصوص المحظوظين باستقلال الطائرة لتشجيع منتخب (مصر) في كأس العالم (روسيا 2018م)، إذا تأفف أحدكم بسبب إرهاق السفر وامتداده لساعات، أنصحك بتذكر جدنا (ابن فضلان) الذي استغرق نحو أحد عشر شهرًا حتى يصل إلى نفس الوجهة.

في العصر الحالي، يولى المستشرقون اهتمامًا خاصًا برحلته، خصوصًا أهل شرق أوربا، حيث عانوا من فجوة معلومات فيما يخص تلك الفترة من

تاريخ بلادهم، فوجدوا في مخطوطة الرحالة العربي أقدم وصف لما كانت عليه -حينذاك- ملامح البشر، الزي، المأكل، معاملاتهم الاجتماعية، إلخ.

شغفَ (بن فضلان) بتوثيق معظم التفاصيل التي تقع عليها عيناه، علاوة على أن أسلوب استرساله ولغته الفصحى مفهومين حتى لقارئ معاصر مثلنا.

كل هذه العوامل جعلته مصدرًا مهما للسابقين واللاحقين:

## □ في الشرق:

أخرج السوري (نجدت إسماعيل أنزور) مسلسلًا دراميًا مستوحى عن المخطوطة، بعنوان (سقف

العالم)، عرض في 2007م، بطولة:

- (قيس الشييخ نجيب) و(سولاف فواخرجي).

## □ في الغرب:

أبدع الفنان (هنري سميرادسكي) لوحة فنية عن طقوس الدفن في شرق أوربا، استلهمها من الوصف الدقيق للمخطوطة.

كما استخدم (مايكل كرايتون) شخصية (بن فضلان) أساسًا لروايته (أكلة الموتى)، بعد أن أضاف تفاصيل خيالية تحكي عن انضمام الرحالة العربي إلى قبائل (الفايكنج) في أحد حروبهم، وهي التفاصيل التي بنيت عليها أحداث فيلم (المقاتل الثالث عشر).

# تائه في لندن

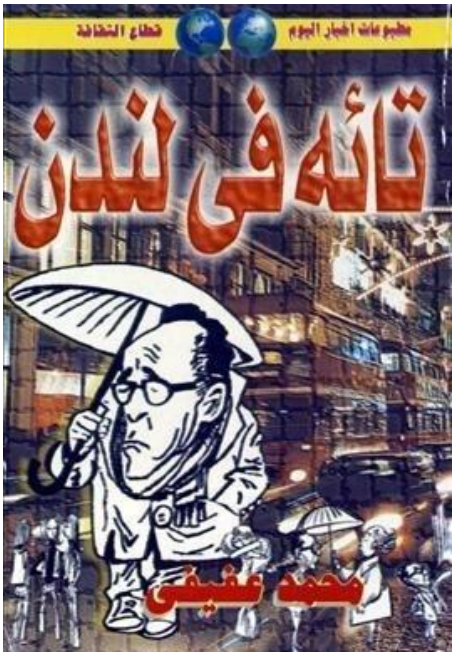


لو كنت من محبي سخرية د. (أحمد خالد توفيق)، فربما يثير حماسك القراءة للمصدر الذي يعترف د. (أحمد) أنه تأثر به في هذا الصدد.

عندما أردت اختيار مثال لأدب الرحلات في القرن العشرين، قفز إلى ذهني مباشرة.. (تائـه في لنـدن)، الذي يعتبر أول ما قـرأت عـلى الإطـلاق في ذلـك الفرع الأدبي، حيث عثرت عليه –بالصـدفة– بـين أرفف مكتبـة المدرسـة، إبـان دراسـتي في المرحلـة الثانوية. أزعم أنه جـذبني منـذ طالعـت صـفحاته التي قلبت بعضـها عشـوائيًا حينـذاك، كـما تخللهـا رسومات كاريكاتورية لا تقل ظرفًـا، عرفـت مـن الترويسة أنها بريشة الشهير (مصطفى حسين).

جدير بالذكر أنني –بعد إنهاء الكتـاب– فشـلت في الإلمام بشكل البرنامج الكامل لرحلة (عفيفـي) أو حتى غرض الزيـارة، لأن المؤلـف –ولا حتـى أنـا بصراحة– اهتممنا بذلك، إذ امتد العمـل إلى نحـو

145 صفحة، مقسمة إلى ما يزيد عن خمسين فصلًا، يتناول كل واحد منها مشهدًا أو موقفًا مكثفًا، عن طريق تأمل استرسالي مرح، أتمنى من مؤلفي الجيل الحالي أن يجربوا مطالعته، حيث يسود –في الحاضر– ربط ضمني بين (الإضحاك + العامية)، لدرجة أن الأغلبية –بمرور الوقت– تراكم لديهم قناعة بصعوبة وجود سرد ساخر بالفصحى.

❑❑❑❑❑

السماء الرمادية، الطقس البارد، الأمطار المتواصلة، حمام ميدان ترافلجار، العمارات الخالية من بواب، الشبابيك التي تفتقد وجود شيش، ساحة الخطباء في (هايد بارك)، المسلة الفرعونية في ميدان (التايمز)، حجر (رشيد)، المتحف، الشحاذون،

القطط، الكلاب، حديقة الحيوان.

يتكون كل فصل من صفحتين إلى خمس تقريبًا، توقف (عفيفي) في الواحد منهم عند كل تفصيلة يمكن أن تلفت نظر (كاتب/ مصري/ ساخر) في (لندن). ونظرًا لأنه رجل شرقي قبل أن شيء، فقد استطرد كثيرًا في تقليعات الشباب، ما بين الذكر الذي يطيل شعره، أو الأنثي التي ترتدي ما يشبه عفريتة الميكانيكي. كما أفرد الكثير من الصفحات في إبداء انبهاره بالقبلات التي يتبادلها العشاق في كل مكان، فضلًا عن اللأزياء والميكروجيب، الذي يجعل الشارع وكأنه "أصابع بيانو متحركة".

بعض الكتب الكوميدية تنقل إليك شيئًا من البهجة الداخلية، حتى وإن لم تكن كافية لأن تنفرج

شفتاك بابتسامة.

بينما ينتمي (تائه في لنـدن) إلى نوعيـة الكتـب التـي تأرجحت بين المرح الداخلي، الذي يتصاعد أحيانًـا إلى "الابتسام"، بل ذهبت بي بعض فقراتـه إلى حـد الضحك الهيستيري.

ملحوظة :

ليس شرطًا أن يكون هذا ما حدث/ يحـدث لكـل القراء، تعلمون أن تذوق الدعابة تعد مـن الأمـور شديدة النسبية، أنصحكم بالتجربة بأنفسكم.

❑❑❑❑❑

# في الإقامة والترحال

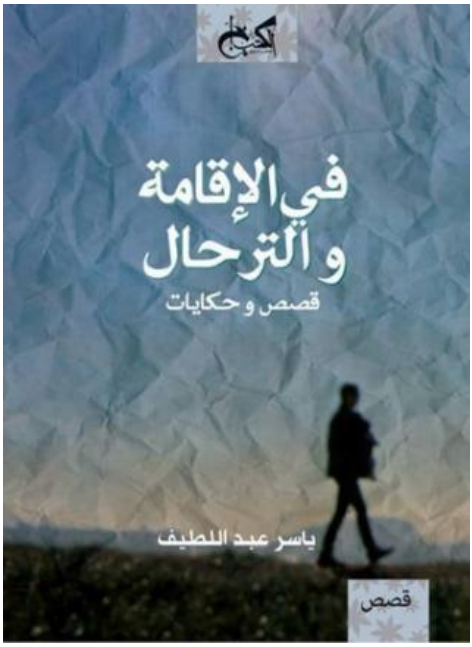


تخرج (ياسر عبد اللطيف) من قسم الفلسفة- جامعة القاهرة- 1994م، قبل أن يعبر المحيط منذ عام 2010م، ليستقر في مدينة (إدمنتون) الكندية.

من يلقى نظرة إلى سيرته الذاتية، سيجد أن أنشطته كانت أوسع من أن يحتويها درب واحد، فتعددت ما بين: الكتابة الصحفية، السيناريو، الترجمة، الشعر، وغيرها.

إلا أنني تعرفت عليه حصرًا من خلال (في الإقامة والترحال). فور أن قرأته، تحمست لترشيحه – كنموذج لأدب الرحلات المعاصر، مع أن نصف الكتاب فقط –كما يشي العنوان– ينتمي إلى حكايات السفر، بينما الآخر منوع كما سنشرح لاحقًا.

نُشرت أغلب فصول العمل داخل ملحق (شرفات) بجريدة (عمان)، قبل أن تصل رسائل إلى المؤلف، تنصح بجمعها وإصدارها ككتاب.

في الواقع، لا أرى –من حيث المبدأ عمومًا– أن كل التدوينات تصلح للحشر داخل كتاب، خصوصًا لو لم يجمع بينها رابط واضح.

رغم أن (في الإقامة والترحال) يفتقد إلى الميزة الأخيرة، إلا أنني أحببته جدًا، فأمتن إلى هؤلاء القراء الذين حثوا المؤلف على تلك الخطوة. يكفي اللغة العذبة التي تبث الحياة في كل ما تنقله من أحداث وتأملات، فلا تشعر أن عيناك تتعامل مع سطور مقروءة فحسب، بل أصوات وألوان وحياة.

اتخذ الكاتب قرارً موفقًا بتأجيل الفصول ذات الأجواء الكئيبة، ليبدأ أولًا بما هو حميمي، كالحديث عن والده الذي كان يفضل (صلاح عبد الصبور)

عن (أمل دنقل) ويحفظ جمل حوارية كاملة من روايات (ثرثرة فوق النيل) و(العائش في الحقيقة)، ثم غادر الابن لتلبية دعوة مهرجان أدبي في (كولومبيا)، تلاها حديث عن البرنامج التلفازي البريطاني (في حديقة الليل)، الذي يتبنى إيقاعًا ناعسًا يشبه أغاني المهد، بغرض تشجيع الأطفال على النوم، غير أن المؤلف أيقظنا معه في الصفحات التالية على إحساس عارم بالحرج، عندما قيل له على لسان مغني تسعيناتي «إنت بتكلمني والناس بتموت»، ثم ضحكنا واغتظنا معه في نفس الوقت، بسبب مقلب جمعية محبي (فريد الأطرش).

عند هذا الحد، بدأت الذكريات الحالمة في الذوبان، ليطغى طابع واقعي قاس.

مجملًا، أستطيع تقسيم فصول العمل إلى:

- حكايات السفر: على غرار مؤتمر كولومبيا، مرورًا بالموقف المحرج على شاطئ (فالنسيا)، كما لا ننسى أشهى بسطرمة تناولها المؤلف في (حلب) اختلطت –على حد تعبيره للأسف– بطعم العنصرية البغيضة، بالإضافة إلى بلوغ ولاية (نيو أورليانز) الأمريكية –بالصدفة– يوم (ماردي جرا) أو (ثلاثاء الدسم).

- التدوينات الشخصية: عن الأب، احتراق منزل الجد، العم الذي يتم اكتشاف ذكراه بين أوراق (الدفترخانة)، المحمية الصحراوية التي تقع في أطراف المعادي، مقالب الطفولة في مدرس الزراعة.

ثم يتقدم بالزمن ليصف لنا مواقف حدثت أثناء حياته المهنية كإعلامي.

-المقالات: التي تتنوع ما بين دردشة عن أصل الـ(أزاوزة)، برنامج الأطفال البريطاني، شوارع المدينة، إلخ.

- شخصيات: (أسامة الديناصوري)، القرآني الذي يعيش في المقابر، ويعتبر الخمر مكروهة وليس محرمة، (عماد الدماطي)، خطاط ورسام السجن، (محمد عصام).. الوسيم المتأنق سابقًا.. المتسول الجالس فوق كرسي متحرك حاليًا، الساقية ذات الأصول الهندية (فاطيما) التي تغلبت على مشكلة فيتامين (دال)، وغيرهم الكثير من البورتريهات الأدبية.

حـرت في تصـنيف هـذه الفصـول، ربـما يحلـوا لي اعتبارها أدب رحلات كذلك، لكنها لا تتوغـل في جغرافيا أو بلدان، بل في أبعاد إنسـانية لأشـخاص قابلهم المؤلف. وفي نفس الوقت، يتـوفر في تناولـه لهم شروط القصص القصيرة كأقصـى مـا يكـون، خصوصًا إنه يجيد اختتامها بسطور في الصميم.

❑❑❑❑❑